بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة الانبار
كلية التربية للبنات
قسم اللـغة العربية

# مفهوم الإبداع وأثره في التوجهات النفسية والاجتماعية عند المرأة

ا.م.د.نصرة أحميد جدوع الزبيدي

حزيران/2012

# الفصـــل الأول

# - الإبداع : الماهية والتعريف
# - المبادئ العامة للتفكير الإبداعي

**الإبداع..التعريف والماهية**

---

لاشك في أن الباحث عن تعريف محدد للإبداع تنتابه الحيرة لسعة المفهوم وتنوع معانيه ومجالاته,ذلك لان الإبداع يمثل ذروة النشاط الفكري الإنساني كما انه المسؤول الأول عن كل الإنجازات التي توصلت إليها البشرية وفي شتى المجالات وهو شكل راق للتفكير الإنساني,بل انه أرقى أشكال التفكير,ولنا أن نسرد الكثير من التعريفات التي تناولته بالبحث وهو لغة إحداث شيء على غير مثال سابق وهو مأخوذ من قولهم ابتدع الشيء أي أحدثه**(1)**

وهناك من يعرفه بأنه الوحدة المتأملة لمجموعة العوامل الذاتية والموضوعية التي تقود إلى تحقيق إنتاج جديد وأصيل وذي قيمة من قبل الفرد أو الجماعة,أي النشاط الذي يقود الى النتاج وبمعناه الواسع إيجاد حلول جديدة للأفكار والمشكلات والمناهج**(2)**وهناك من عرفه على أساس العملية الإبداعية كالعالم والاس الذي يرى انه من عدة مراحل من البداية وحتى النهاية وهي الإعداد والاختصار والإشراق والتحقيق ويرى فيه مجموعة من الإمكانيات المتعاضدة لاامكانية مفردة يتصف بها المبدع.**(3)**

ويظهر التفكير المبدع عادة عند حل المشكلات وهو التصور الرئيس لمفهوم الإبداع في علم النفس والمرتبط بالتفكير بوصفه سلوكا بشريا شريطة توافر ثلاثة شروط وهي :

1- توافر عنصر الجدة والقيمة للفرد والثقافة.
2- التفكير اللااتفاقي القائم على تغيير الأفكار السابقة.
3- التفكير المتضمن للدافعية والمثابرة والاستمرارية العالية.**(4)**

ويقسم احد الباحثين تعريفات الإبداع الى أربعة أنواع هي :

1- نوع يركز على العملية الإبداعية والكيفية التي يفكر بها الفرد ويبدع عمله وإنتاجه ومنها تعريفات والاس الذي يحدد للإبداع أربع مراحل هي الإعداد والاختمار والإشراق والتحقيق.
2- التعريفات التي تركز على النتاج الإبداعي كتعريف ما يكون الذي يرى إن الإنتاج الجيد إنما يفي بثلاثة متطلبات رئيسة هي الجدة والملائمة وإمكانية التطوير.
3- التعريفات التي تركز على السمات الشخصية أي التي تعرفه على ضوء ما يتسم به المبدع من حيث تميزه عن الآخرين .

4- التعريفات التي تعرفه من ناحية الإمكانية الإبداعية التي تكشفها الاختبارات النفسية التي تقيس القدرات الإبداعية.**(5)**

كما إن الدراسات الحديثة لمفهوم الإبداع عموما قد كشفت تربطا وثيقا بين القدرات الإبداعية والسمات الشخصية كما انه يرتبط بالتوتر النفسي والصحة النفسية حقا لأنه حالة خارجة عن المألوف وتتعلق بالموهبة وظروف تحريرها **(6)**والمبدع كما يراه بيكاسو وعاء مليء بالانفعالات التي تأتيه من كل الموقع من السماء والأرض من قصاصات الورق ومن شكل عابر أو من نسيج عنكبوت والمبدع يودع ما يراه أو يسمعه أو يقراه ليخفف من وطأة الانفعالات وازدحام العقل بالرؤى وهو بذلك مظهر من مظاهر خصوبة التفكير كما إن العمل الإبداعي يتجسد في فكرة بسيطة تتحول الى إبداع حقيقي في أي مجال**(7)** ويكفينا من روعة المفهوم إن الخالق عز وجل قد وصف ذاته به فهو بديع السماوات والأرض والتي من معانيها المخترع والآتي بالشيء الجديد..على درجة من الروعة والجمال والإتقان..

ويقوم التصور الحديث للإبداع على الذكاء والارتباط الكبير بينهما فمن المهم توافر شرط الذكاء المتوسط ليتحقق شرط الإبداع عند الفرد(أي ما معدله120)على وفق الدراسات الحديثة وارتبط تلك النتائج بنتائج دراسات أخرى في العام 1950 أكدت ضرورة توافر شروط المرونة والطلاقة والاصالة بوجه عام لتحقيق ذلك الهدف,ومن الدراسات الرائدة في هذا المجال دراسة جتلز وجاكسون المنشورة عام 1962 واستخدما اختبارات جليفورد ومقاييس الذكاء لبينيه ووكسلر على مجموعتين من الطلاب كان من ابرز نتائج الدراسة إن الاكتفاء باستخدام اختبارات الذكاء فقط لتعيين المبدعين أدى الى استبعاد ما يقارب ال70% من العينة وعدم وجود فروق في التحصيل الدراسين بين المتفوقين في الذكاء والمتفوقين في الإبداع وان المتفوقين في الإبداع يبذلون مجهودا اقل من نظرائهم للوصول الى المستوى نفسه كما إن هناك دراسات كثير جدا في هذا الصدد **(8)**.

على إن من مرادفات الإبداع مفهوم الابتكار والذي يرى الباحثون إن له مكونات أساسية ومنها الطلاقة وهي القدرة على إنتاج الأفكار وهي على أنماط فكرية ولفظية وتعبيرية ثم عنصر المرونة الذي يقصد به القدرة على تغيير التفكير لدى الأشخاص المبدعين ومنها المرونة التلقائية والمرونة التكيفية.**(9)**

## المباديء العامة للتفكير الإبداعي

---

هناك مباديء للإبداع والتفكير الإبداعي وضعتها الدراسات الحديثة في مجال علم النفس وغيره من المجالات التي اهتمت بالإبداع ويمكن إيجاز هذا الشروط بالنقاط الآتية:

1- أن يتضمن معايير إجمالية الى جانب المعايير العملية حيث يسعى المبدعون نحو الاصالة والمبدعون ملتزمون بالمعايير الإبداعية في مجالاتهم التي يبدعون فيها.
2- يعتمد التفكير الإبداعي على الالتفات الى الهدف بقدر الالتفات الى النتائج والمبدعون يستكشفون الحلول في مراحل معينة بالنظر الى الأهداف فعلى سبيل المثال واجهة وكالة الفضاء الأمريكية مشكلة احتراق السفن الفضائية عند دخولها المجال الجوي للأرض وعجزت محاولات ابتكار دروع واقية من الحرارة وتمثل الحل ببساطة في ابتكار درع

قابل للاشتعال يوضع فوق جدار السفينة الخارجي أي الاستفادة من المشكلة نفسها في إيجاد الحل.

3- يعتمد التفكير الإبداعي على المرونة أكثر من الطلاقة لان العلاقة بين الطلاقة الفكرية والإنجاز اضعف بكثير من العلاقة بينه وبين المرونة من نا لابد من توافر قدر كاف من لمرونة إزاء مفردات التفكير بشكل تام.
4- الاعتماد على حافة القدرة أي مستوى القدرة المعقول وليس على متوسطها فالمبدع لابد من أن يبذل أقصى قدراته لان المهم هو الوصول الى الهدف مثلما إن توقع الفشل أمر وارد لابد من التعايش معه.
5- يعتمد التفكير الإبداعي على الموضوعية اثر من الذاتية من خلال النظر الى وجهات النظر المختلفة وإعادة النظر في النتائج والحصول على النقد الذكي المساعد على إزالة الخلل من العمل الإبداعي وتصحيح الأخطاء.
6- يعتمد التفكير الداخلي على الدوافع الداخلي أكثر من اعتماده عل الدوافع الخارجية وعلى المبدع الإيمان بأنه هو وليس الآخرون أو الصدفة مسؤول عن اختياره لما يفعل وكيفية الفعل.**(10)**

وهناك من يرى في العمل الإبداعي امتداد لذات المبدع نفسه شريطة توافر دوافع محددة ومنها:

1- الاستقلال الذاتي والتحرر من الوصاية الفكرية للأخر والانفتاح على الذات وتنمية الإمكانيات الإبداعية وهو أمر ينطبق على كل المبدعين في جميع المجالات.
2- دافع الابتكار والاصالة والتطلع دوما الى ماهو جدي.
3- التفتح على الخبرات والإحساس بالمسؤولية الاجتماعية لان العلية الإبداعية أصلا تقوم لى دافع يسود الحياة الإنسانية كلا.
4- الدافع لمعالجة وتفحص الأمور المعقدة والمركبة قبل لسهلة لأنها تنمي حب الإبداع واقتحام الصعوبات.(11)

والإبداع حالة خاصة تمثل كما أسلفنا قمة النشاط الإنساني وهو بذلك يرتبط بأكثر حالات النفس خصوصية وهناك من العلماء من يربطه بالقلق والتوتر والقلق المقصود هنا هو المحفز والايجابي المرتبط بالتفاوت الكبير بين الذات المدركة والذات المثالية والإنسان يزداد قلقه كلما ألحت عليه الذات المثالية بالتطلع نحو الأفضل والمزيد فالقلق يتسم دائما بالحاجة الدائمة للإبداع على أن لا يتجاوز حدوده فينقلب على صاحبه**(12)**والى جانب القلق هناك التوتر النفسي بوصفه احد العوامل المحفزة للإبداع وهو في ابسط تعريفاته إحساس يسببه الصراع الداخلي أو الضغط الخارجي يصحبه استعداد لتغيير السلوك لمواجهة المتغيرات والظروف وهو في اشد حالاته عامل للكف والمنع كما إن الاضطراب الوجداني لايمكن أن يكون حالة وجدانية منفصلة عن الفرد ومحيطه بل إن الهيأة العامة للشخص هي مثل العوامل الداخلية والخارجية للفرد كما إن سعي الإنسان الدائم يجعله في حالة دائمة من التوتر العقلاني الذي ينبغي أن لا يتجاوز حدوده المعقولة وهناك قانون شهير لدى علماء النفس يسمى قانون دوبلوف فحواه إن التوتر يحدث لدى الإنسان عندما لا يكون هناك توافق بين ما يسعى إليه الفرد وبين المنبه الذي يثير الفكرة أو السلوك وان خفض التوتر مرتبط بتحقيق التوافق بين ما يصبو إليه الفرد وواقعه**(13)**

والإبداع تراه في كل شيء بدءا بأبسط الأشياء حتى اعقدها من لمحة الفنان الى صورة الأديب الى إنجاز العالم الى لوحة الرسام ولحن فنان من هنا عد الإبداع العملية التي تبرز منها كل أنواع النتاج ويمكن تحديد سمات شخصية المبدع بكونه خير سهل غير متكلف واثق يعبر عن نفسه بيسر وسلاسة اجتماعي منبسط مكتف بذاته يتصف بالنزعة الايجابية المثالية وقوة الإرادة والإيثار كما انه مهذب وستقل وغير محب للتسلط ويحتاج الى بيئة إبداعية مشجعة ويمكن أن يعمل في ظروف محددة محب للإنتاجية ونشيط وما الى ذلك ن الصفات(14) كما إن الإبداع لا يرتبط بعرق أو جنس أو زمان إلا أن له محفزات كالثقافة العامة والبيئة النفسية السليمة مع إن القهر يمكن أن ينتج مبدعين..وقد عني الكثير من الباحثين الكبار بالعناصر القهرية الطابع التي

تنتج الإبداع ومنها عنصر البيئة فتوينبي يشير الى عنصر صعوبة البيئة وأثرها في تكوين الفرد ويشير الى (البلاد الصعبة)مؤكدا ان طبيعة المكان تحدد طبيعة الإنسان ويضرب مثلا بالحضارة الهيلينية اليونانية التي نشأت اثر نضوب المراعي وما انتهت إليه من سيادة وقوة عسكرية كبيرة احتلت اجزاءا واسعة من العالم**(15)** كما إن عامل رفض البيئة لإبداع الفرد ونبذه لها ثر في الشعور بالمرارة والإحباط والانسحاب الى جانب موضوع الطبقية في المجتمعات الطبقية التي يسود فيها صراع دائم يفرض تغييب فئات واسعة من الناس والحط من قدرهم وعدم الاعتراف بمواهبهم وقدراتهم ,على إن من المبدعين من استطاع تجاوز تلك القيود بعظمته وموهبته وإصراره وافلت من تصنيف الطبقة الحاكمة له وحكمها عليه بالدونية بسبب فقره أو بساطة انتمائه ومن هؤلاء من حول الفئة الأرستقراطية الى محط للسخرية وموضوعا للنقد الاجتماعي من خلال الأعمال الإبداعية فالمبدع إذا تمكن من الإفلات ن كمين الطبقية نجح في الإفلات من التصنيف الأيديولوجي المجحف الذي وضعته فيه الحياة ن غير ان يكون له في ذلك يد**(16)** كما إن حبس المبدع لنفسه أو حبس المجتمع له في شرنقة الفردية يحد من قدراته من هنا تبرز عوامل التخلف والأمية كأحد العوامل التي تبعد الفرد عن مجتمعه الى جانب الدكتاتورية التي يمكن عدها آفة العصر حقا لأنها تبني هيكلية ميتة اجتماعيا تخدم الفرد وفئته الخاصة وتسحق باقي فئات المجتمع الى جانب العنصرية بكل أشكالها ومنا عنصرية الجنس والعرق والمذهب واللون التي تمثل آفة من آفات الإبداع التي تشل العقل البشري ,وكثرا ما نعاني منها في مجتمعاتنا العربية التي لازال أمامها طريق طويل محفوف بالألم والمخاطر قبل ان تصل وتوصل المرأة معها الى بر الأمان.

# الفصـــل الثاني

## - المرأة..الوجود والفاعلية الاجتماعية
## - العوامل المحفزة والمثبطة لإبداع المرأة

**المرأة..الوجود والفاعلية الاجتماعية**

---

المرأة ذلك المخلوق الجميل ..والمنزلة الكبيرة في سلم الوجود على الأرض وحاضنة الحياة واحد أعظم أسرار وجودها واستمراريتها منحها الله تلك القدرة الخارقة على حمل بذرة الحياة في رحمها وتحمل مشاق الحمل والولادة والتربية تلك التي أثبتت الدراسات العلية الحديثة استعدادها الفطري لتحملها,تلك المرأة تمثل نصف مجتمعها رقميا ووجوديا وقيميا ..بل وربما تفوقت رقميا على عدد الذكور تبعا لتركيبة المجتمع الذي تعيش فيه,ويتعدى دورها في المجتمع جميع الأنماط الشكلية التي قيدتها بها العادات والتقاليد البالية لا بل إن جانبا كبيرا من الطقوس السلبية والممارسات في المجتمعات كان لها دلالات خاطئة في تفسيرها ويكفي إننا وجدنا في معبودات الشعوب القديمة آلهة إناثا على شاكلة اللات والعزى ومناة وهي بنت الإله عند العرب القدماء **(17)** كما سبق السومريون الى تقديس (االالهات )أي الأمهات ويذكر سيد القمني ترنيمة حول خلق العمل من قبل الالهة تتضمن تقديسهم للام وربطها بالأرض ،تقول الترنيمة:**(18)**

عندما تزوجت الالهات ألام
وعندما توزعت الالهات ألام
بين السماء والأرض
وعندما ولدت الالهات ألام
عند ذلك كتب العمل
الآلهة العظام تراقب العمل

والأبناء يحملون السلال

كما قدست المرأة في الديانات القديمة انطلاقا من الإدراك بأهمية الدور الذي تقوم به والمتمثل بالخصوبة والحفاظ على النسل وارتبطت تبعا لذلك بالأرض والشمس على وجه الخصوص من هنا نعثر في المأثور الشعري العربي القديم على صور غزيرة وحية للمرأة فشبهوها بالشمس لا على جهة الجمال وحسب بل لما ترمز إليه الشمس من معاني الحياة كما شبهها الشعراء بالسحابة الممطرة لما يحمله المطر من دلالات الخير والبقاء ,يقول امرؤ القيس:**(19)**

***برهرهة كالشمس في يوم صحوها تضيء ظلام البيت في ليلة الدجى***

لقد كان إدراك المجتمعات البدائية لأهمية المرأة ومكانتها سببا في نيلها نزلة رفيعة لديهم ناهيك عن التحول الكبير الذي أصاب المجتمعات إبان اكتشاف الزراعة والحاجة الى الأيدي العاملة في الأرض والذي لايمكن أن يتوافر من غير العنصر النسائي الى جانب كونها الوسيلة الوحيدة لإنجاب الأطفال لابل إننا وجدنا علماء الانثربولوجيا المحدثين ينسبون الفضل الى المرأة في اكتشاف النار والطبخ وبناء البيت واختراع الأدوات المنزلية بحكم كون الرجل المسؤول آنذاك عن جلب الطعام من خلال عملية الصيد ,ويذكر الغذامي إن المرأة في الأدبيات الغربية الحديثة تذكر على إنها ملاك معشوق أو شيطان منبوذ وهي أدبيات درجت على اضطهاد المرأة وجعلها متاعا للرجل وهذه هي التقاليد المضادة المجحفة جزء من تفكير المجتمعات التي تحافظ على بدائيتها وهو الأمر نفسه في الأدبيات العربية فكثيرا ما نعثر في الكتب القديمة على أبواب خصصت لذم النساء على شاكلة ما جاء في احد كتب الثعالبي والجاحظ وغيرهما**(20)**وهذه النظرات والرؤى كثيرة جدا في مجتمعنا العربي ويكون بعضها موروثا من العصر الجاهلي وقيمه ذلك العصر الذي كان المرأة تورث فيه مع ما يرثه الفرد من مال ومتاع الى جانب امتداد الحيف الى عصور لاحقة ليشمل أمورا أخرى منها عدم تجويز رئاستها عند اغلب الفقهاء بحجة عدم الأهلية وكون شهادتها منقوصة فشهادة امرأتين تعدل شهادة رجل واحد تحت ذرائع ابتكرها الفقهاء وتفننوا في التلاعب فيها بنصوص الشرع الحنيف لابل إن دية المرأة عند الكثير من هؤلاء نصف دية الرجل**(21)**

وفي المجتمعات الحديثة مرت المرأة بالتحولات نفسها في جميع المجتمعات ونلمح تفاوتا كبيرا في مكانتها والوعي بقيمتها بين مجتمع وآخر تبعا لحالة الرقي والتقدم وبالتأكيد فان المجتمعات الراقية أكثر إدراكا لمكانة المرأة من غيرها لأنها رأت فيها ما رأته في الرجل من كونهما أداة التنمية ووسيلتها بل وغايتها العظمى ,ان المرأة نصف المجتمع الحي وعماد تطوره لكونها مسؤولة أولا عن تربية النشيء وإعداده وحقا فوراء كل عظيم امرأة,كما إنها مهيأة بايلوجيا ونفسيا للعمل شانها شان الرجل لا تختلف عنه في شيء إلا إن عوامل التخلف والجهل في المجتمعات هي التي أوجدت خرافة تميز الرجل على المرأة والتي لا يقرها دين ولا عقل لابل إن التكليف الديني تساوى فيه الرجال والنساء إلا في بعض الجزئيات التي تتبع التركيب والوظيفة البايلوجية لكل منهما وهي ليست بذي بال لابل إنها تميل بالكفة لصالح المرأة .

والعودة الى اللغة نفسها تكشف الطابع العنصري في التعاطي مع المرأة وهو ما كشف عنه الكثير من الباحثين فالتقسيم اللغوي للأسماء المؤنثة والمذكرة جعل معاملة الاسم المؤنث موازيا للاسم الأعجمي من حيث القيمة التصنيفية وإضافة تاء التأنيث الى الاسم المؤنث(التي لامحل لها من الإعراب وهو ما لانراه مع تاء الفاعل) لا بل وحرم العلم المؤنث من التنوين بل إن التذكير هو الأصل الفاعل والمؤنث تابع لافاعلية له**!**(22)

وهذه السمة العنصرية امتدت لتشمل الخطاب الأدبي في مجمل العصور حتى وجدنا مثلا ابن سلام لا يترجم في طبقات لشعراء التي تضم أربعين شاعرا جاهليا ومثلهم إسلاميون إلا امرأة واحدة هي الخنساء ولم الجاحظ المرأة في أي من ادبياه الا في موضع الذم والسخرية ولا تتعدى المرأة في مختلف الأدبيات صورة نمطية وهي كونها وسيلة للتسلية والمتعة وحسب.وبالتأكيد فان منجز الدين الإسلامي توقف عند حدود العادات والنفسية العربية المتزمتة التي غلبت بأهوائها على كل منطق, وعموما فليس كل نتاج لغوي أو أدبي أو فلسفي أو غير ذلك إلا نتاجا للمجتمع

وصورة واضحة عنه ,فاللغة تعبير صادق عن المجتمع وعاداته وطبائعه ومثلها الأدب المكتوب بها , ويرتبط بالعنصرية بمختلف أشكالها موضوع القهر فلابد من الإشارة الى وجود صلة مؤكدة بين الإبداع والقهر لا بالنسبة للمرأة وحدها بل للبشر جميعا وتنماز المرأة بكونها الأوفر نصيبا في التعرض للقهر والكبت والحرمان بحكم التراكم الفكري والقيمي للعادات والتقاليد والممارسات في مختلف الحضارات والأزمان والأماكن,والقهر يؤدي غالبا الى الإحباط الذي يحول بين الإنسان ومسعاه نحو تحقيق ما يصبو إليه وما يشعر بذاته قادرة على تقديمه وقد يقصد به اليأس والقنوط وهو أشكال أكثرها تأثيرا القهر السياسي والعسكري والقهر الاجتماعي والفكري والسياسي مرادف للديكتاتورية أما العسكري فمرادف لمفهوم الاستعمار ,على إن هناك من قسم القهر الى قهر الذات والمكان والزمان ويرى إن التغلب على النمط الأول يقود الى الإبداع لأنه إخراج ذات من ذات **(23)** على إن من أنماط القهر الأخرى ما يرجع الى اللغة نفسها ي لغة التواصل مع المجتمع فمن المعروف ان هناك لغة نشا بين الأم والطفل أول الأمر وحين تعجز هذه اللغة في مراحل لاحقة عن إيصال مشاعر الطفل وحاجاته يبتكر مفردات خاصة او حركات تكفل له توصيل رغباته ثم تتطور تلك اللغة الى لغة تواصل مع المحيط الاجتماعي وهي جزء من الذات الممتدة الى الخارج ,وقد تغيب اللغة المنطوقة في الإبداع وتحل محلها لغات أخرى كلغة الجسد لاسيما في الرقص الذي مثل جزءا من الطقوس والممارسات الحضارية عند امم ثيرة كالهنود والرقص التراجيدي عند اليونان وغيرها, والمجتمع القاهر فرض لغته الخاصة على المبدع من خلال الانقطاع عنه(24)

وقلما نجد مجتمعا يخلو من القهر بأي شكل من الأشكال وأبشع أشكاله العنصرية ضد المرأة مهما بلغت درجة رقيه ووجدنا من الباحثين الاجتماعيين من يشبه وضع المرأة من ناحية التشريعات بوضع الزنجي لان حقوقه ظلت حبرا على ورق كما انه يحمل المرأة جزءا من أسباب محدودية دورها في المجتمعات بسبب سيطرة فكرة الضعف وقلة الحيلة على تفكيرها واستسلامها لمعايير فرضها المجتمع لأسباب مختلفة واهية في أكثرها**(25)**لابل إن اغلب المجتمعات العربية تحظى فيها قضية الاهتمام بصحة المرأة الجسدية والنفسية باهتمام اقل بكثير من صحة الرجل لاعتبارات ضيقة تتعلق بكونه المعيل في مجتمعات عمدت الى تهميش دور المرأة وتعزيز سيادة الرجل**(26)**كما إن التفاوت في النظر الى قيمة كل من الرجل والمرأة يبدأ من لحظة الولادة لأنه يأخذ مكانته الاجتماعية كرجل للمستقبل وعلى المرأة أن تتوقع سلسلة من القيود والممارسات الاجتماعية المجحفة منذ لحظة ولادتها الأمر الذي يشكل منظومة من القيم السلبية التي تزرع الإحباط في نفسها منذ وقت مبكر,وعموما فان هذه القضايا المعوقة للمرأة عن أداء دورها لابل إنها المسؤولة عن زيادة عدد المتسربات ن الدراسة من البنات في الكثير من المجتمعات.(27)

## المرأة والإبداع(العوامل المساعدة والمثبطة )

---

الحديث عن الإبداع طويل ومتشعب ولاشك في إننا وضعنا الخطوط العامة لمفهوم الإبداع وعوامله وأسسه في الفصل السابق ورأينا كيف انه يحتل جزءا مهما من النشاط الإنساني كما انه أساس من أسس الحضارة ,وليست المرأة بما تمتلكه من طاقات إلا جزءا من الحالة الإبداعية في الكون فهي تمتلك جميع المقومات التي تمكنها من الإبداع شريطة أن تتوافر العوامل المناسبة لذلك ولدينا سفر ضخم بأسماء النساء المبدعات في شتى المجالات ,وعالميا مثلت مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية الانطلاقة الحقيقية التي مكنت المرأة من الإسهام الفاعل في أداء دورها الحضاري لاسيما في أوربا وكانت الحركات النسوية التي تطالب بحقوق المرأة قد حققت قبل ذلك مكاسب كبيرة منها حق التصويت في الانتخابات ووصلنا الى مرحلة يحلو للبعض تسميتها ب(نسوية ما بعد الحداثة) في أوائل الثمانينات وقامت على الإقرار باختلاف المرأة عن الرجل في بعض النواحي ونقد النموذج الذكوري المضطهد للمرأة وطالبت بوصول المرأة الى مراكز صنع القرار العلمي والسياسي على اعتبار إن الشخصية الإنسانية تنطوي على خصائص

ذكورية وأنثوية يجب اشتراكها من اجل بناء مستقبل أفضل للبشرية**(29)** وقد نشأت الحركات المطالبة بحقوق المرأة في القرن التاسع عشر وأطلق عليها النسوية (feminism) وبدت بوصفها أسلوبا في الحياة الاجتماعية والفلسفية والأخلاقية يعمل على تصحيح وضع المرأة المتدني.

وانطلقت هذه الحركات من إيمانها بقدرة المرأة على الإبداع العطاء وأنها ليست اقل شانا من الرجال وكان من ثمرة ذلك إن بدا العالم يلتفت الى إنجازات النساء المبدعات ,وجدلية المرأة والإبداع تنطلق في فهمها من كون المرأة كائنا بشريا وهبه الله القدرة التي وهبها لغيره والمتمثلة في العقل الذي غيبته الفلسفات الرجعية حين حكمت على المرأة بالانزواء في الظل ,والمراة تنماز عن الرجل بكونها تحمل الى جانب توقها الى الإبداع وقدرتها لى الوصول الى المستوى المرموق سمة كونها محملة أصلا بأعباء التربية والأعمال البيتية التي تقوم في غالبية المجتمعات على مفهوم خدمة الرجل والأبناء والقيام بما يتطلبه الزواج بوصفه مؤسسة اجتماعية تتأسس على مفاهيم تقاسم الأدوار,مع إن العصر الحديث تحديات العيش ومتطلباته المتزايدة بعثرت الأوراق كثيرا وصار خروج المرأة الى العمل حتميا ,من هنا تتحمل المرأة المبدعة قدرا كبيرا من الضغط النفسي والجسدي تقول إحدى الباحثات(فالمراة المبدعة كثيرة المهام المتنوعة بحيث يصعب القيام بها من قبل شخص واحد لكنها لابد أن تجامل فتستقبل الضيوف وتشجع الزوج والأبناء دون أن تنتظر موقفا مساندا متفهما وإذا جاء داعي الإبداع كانت مشغولة في عمل اخر في حين يسرع الرجل الى تلبيته تنشغل بمهامها فلا تستطيع ترك الطبيخ على النار أو إهمال الضيوف والا لقامت الدنيا ولم تقعد**(30)**وتمضي الباحثة لتؤكد إن المرأة تحتاج الى المساندة والتشجيع كما لابد من أن تتحرى الحذر من الارتجال لكي لا تقع في شرك الفشل,وبصراحة فالأمر أعمق من تلك الطروحات السطحية لان تقسيم الوقت من قبل المرأة هو إبداع بحد ذاته ثم إنها بحاجة الى تدعيم ثقافتها والخروج من شرنقة الأعباء المنزلية الى تقديم خدمة ارفع للمجتمع في مجال العمل الذي تبرع فيه كاتبة أم مهندسة أم طبيبة أم أي شيء آخر,ولان من سمات التفكير الإبداعي المرونة والقدرة على التكيف مع شتى الظروف فان تهيئة وقت للإبداع بالنسبة للمرأة هو إبداع بحد ذاته,ولو كان الأمر كما ترسمه الباحثة لما وجدنا امرأة على خارطة الإبداع الإنساني ,ومن الشائع في مجتمعاتنا الشرقية وحتى الغربية في مراحل سابقة إن المجتمع يخشى المرأة الموهوبة وفي مذكراتها ذكرت الروائية المشهورة فرجينيا وولف إنها كتبت قصتها الشهيرة (غرفة تخص المرء وحده)أساسا حول جدل لمراة والإبداع وأبدت امتعاضها الشديد من غياب صوت النساء المميزات وان القليل من النوافذ كان متاحا أمام المرأة لا بل إنها كتبت قصتها (ثلاثة جنيهات )وهي حانقة فعلا وكانت قد ألقت محاضرات على طلاب كيمبرج حول المرأة والإبداع مهدت لأفكارها في قصصها السابقة فترى ان المرأة لابد ان يكون لها مالها الخاص وغرفتها الخاصة إذا مانيط بها الإبداع وتقول:كلما فكرت في كل تلك الأموال المهدورة في تعليم الذكور في المؤسسات التعليمية والظروف التي يتلقى فيها الرجال الدروس في كيبمردج فكرت أيضا في كل النساء اللواتي ظللن يعملن لقرون طويلة ومر شقاؤهن سدى من دون ان يلتفت إليه احد**(31)**وإذا ما أردنا تمييز العوامل المثبطة لإبداع المرأة يمكننا ان نثبت العوامل الآتية:

1- البيئة الاجتماعية السلبية وانحسار الوعي الاجتماعي بدور المرأة الفعال والأيمان بقدراتها وإنها لاتقل شانا عن الرجل ,ومن المعروف ان مكونات البيئة الثقافية تسهم في بلورة المواقف إزاء موضوع المرأة وحقوقها وإبداعها ومن هذه المكونات الدين وطريقة تفسير نصوصه التي تنحاز لأهواء الذكور في مجتمعات ذكورية في الغالب وكذلك المأثور الاجتماعي من العادات والتقاليد التي تحرم المرأة من حقوقها ولازالت على سبيل المثال التشريعات في بعض الدول العربية تحرم قيادة المرأة للسيارة او كشف وجهها لا بل وحتى التقاط الصور للمعاملات الرسمية!ناهيك عن مصادرة حقوقها في اختيار شريك حياتها وإكمال تعليمها فكيف بالإبداع والتعبير عن مواهبها وقدراتها الخاصة!!

2- الإحباط الذي تشعر به المرأة إزاء ما تربت عليه من قيم تجعل منها مواطنا من الدرجة الثانية واستسلامها للمفاهيم الاجتماعية الخاطئة التي تحد من طموحها وتطلعها نحو الأفضل تساهم في ذلك الدعوات الرجعية في المجتمعات (الشرقية على وجه الخصوص) والتي وضعت قيما سطحية للمرأة المثالية مسخت شخصيتها وإنسانيتها وجعلتها محض جسد ملتف بنقاب اسود وقيدتها بأغلال (العورة) التي لازمتها وأورثتها الذل الأزلي لمجرد كونها امرأة.

3- شيوع المفاهيم الخاطئة حول مسالة(الضعف الفطري)للمرأة وعدم قدرتها على القيام بالكثير من الأمور التي يقوم بها الرجل بحكم استعداده الفطري من هنا شاعت الفكرة الخاطئة التي حددت للمرأة ميادين معينة تعمل فيها من غير ان تشير حتى الى إمكانية إبداعها فيها.

4- استسلام المرأة لضغط المأثورات والعادات وعدم محاولتها تطوير الذات والتطلع الى الأمام والانصياع للمفهوم الاجتماعي الخاطيء حول موضوع الزواج وتحول مسالة الخروج من كابوس العنوسة الى الشغل الشاغل لها والأثر السلبي الذي تتركه المرأة على المرأة في هذا الصدد .

5- النظم الدكتاتورية التي تحكم المجتمعات وأثرها في مصادرة الحريات الشخصية والتي يمكن اعتبار سلطة (الأب المتسلط) أول أشكالها وصولا الى مؤسسة الحكم ,وليس غائبا على احد آثار العنف الأسري والعنف ضد المرأة على ما يمكن ان تقوم به المرأة من ادوار وتأثير ذلك على إظهار إمكانياتها وقدراتها وتنميتها كما لاتخفى أهمية المناخ السياسي في البلدان على الأفراد عموما لان النظم الدكتاتورية تحارب المبدعين عادة وغالبا ما ترى فيهم العدو رقم واحد الذي يهدد وجودها من هنا تحاول إغلاق نوافذ التعبير عن الطاقات وتسعى الى الإبقاء على واقع ثقافي وعلمي تحت السيطرة وتستخدم المدارس والجامعات للسيرة على العقول ومراقبتها .

6- عدم وجود مرجعية ترعى النساء المبدعات وغياب المؤسسات المختصة بذلك والتي تستطيع تغيير الواقع المسيطر الذي يقر بتفوق الذكور كما ان قصور التشريعات والقوانين الذي يقيد المرأة ويحد من قدرتها على الإبداع عامل أخر من عوامل عرقلة الإبداع ,وفي هذا الجانب تميل المجتمعات العربية الى تضخيم الإبداع الذكوري التقليل من قيمة المنجز النسوي استجابة لعقد الهينة الذكوري في مجتمعات ظلت تحتفظ بالطابع الأبوي على الرغم من التطور السطحي الي تبدو عليه.

7- المفاهيم الخاطئة حول موضوع واجبات المرأة الأسرية والتي ترى فيها خادمة تسهر على تلبية طلبات الزوج والأبناء وقبل ذلك الأعمال البيتية الشاقة في بيت العائلة قبل الزواج والتي لاترى في موضوع إبداع المرأة إلا مضيعة للوقت والجهد وان الأهم في هذا الجانب ان تجد من يكفلها وهي فكرة تستسلم لها الكثير من النساء لاسيما في العوائل ذات المستوى التعليمي المتواضع او الأمية.

على ان هناك عوامل مساعدة تسهم بشكل كبير في إبراز قدرات المرأة وتجلي إبداعها يمكن ان نعدها شروطا للإبداع نوجزها بالاتي:

1- البيئة الثقافية والاجتماعية الايجابية ,ولاشك في ان للوعي دور مهم في مساعدة المرأة على التعبير عن طاقاتها وقد لا يرتبط هذا الوعي في كثير من الأحيان بالتحصيل الدراسي للأبوين إذ قد يكون الآباء على قدر كاف من الشعور بأهمية دور المرأة في المجتمع وقدرتها على العطاء وكثيرا ما يلاحظ بساطة الانتماء الطبقي للآباء والأمهات للكثير من المبدعات في شتى المجالات وفي هذا الجانب لابد من تمييز مسالتين مهمتين:الأولى تكمن في مفهوم الحاجة الى نجاح المرأة من قبل الأسرة لأسباب اقتصادية تتعلق بكونها المعيل لها او أسباب اجتماعية تكون فيها المرأة موضع الفخر من قبل العائلة لاسيما بوجود عنصر المنافسة مع اسر أخرى,والثاني وجود قدر كاف

من الرغبة لدى المرأة لتطوير الذات مع توفر الأنموذج والقدوة التي تتأثر بها وتسعى الى تحقيق إنجازاتها نفسها.

2- وجود مناخ سياسي وفكري ديمقراطي مناسب يكفل تحقيق مباديء العدالة الاجتماعية واحترام حريات الأفراد وتحقيق مبدأ المساواة بين الجنسين فيما يتعلق بفرص التعليم والعمل ونواحي تطوير الذات ,وتلعب التشريعات التي تكفل هذه الحقوق وطريقة صياغة موادها دورا كبيرا وفعالا في إتاحة الفرصة أمام النساء لإظهار قدراتهن .

3- الاهتمام بإشاعة الأفكار الايجابية حول هذا الموضوع والتأكيد عليه في المناهج الدراسية والثقافة الموجهة في وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية واستغلال هذه القنوات المهمة في تصحيح الأفكار والمفاهيم الخاطئة حول قدرات المرأة ومكانتها في عملية التنمية بوصفها عنصرا هاما في المجتمع يصعب ان تقوم بدونه أية تنمية اجتماعية او اقتصادية او علمية.

4- غرس الثقة في نفوس الفتيات في مراحل التعليم المبكرة والمتقدمة في الجامعات وتشجيع مبدأ المنافسة العلمية بين الجنسين والإكثار من المؤسسات ذات الطابع المختلط الى جانب مراعاة تحقيق قدر من العقلانية في مؤسسات التعليم الجامعي ذات الطابع الأنثوي لاسيما كليات التربية للبنات التي يفترض ان تعد كوادر نسوية كفوءة واعية لخدمة المجتمع وقيادته في شتى المجالات لا يستثنى مجال منها مهما كانت خصوصيته انطلاقا من الدور الذي يفترض ان تقوم به هذه المؤسسات والقائم على الإيمان بقدرة المرأة على الإبداع والعطاء.

5- الانفتاح الحضاري الخلاق على تجارب الأمم الأخرى في ميدان الإبداع النسوي والتعرف على الأفكار والجهود التي تبذل لمنح المرأة فرصة الإبداع ,وليس بالضرورة استنساخ تلك التجارب متجاوزين الفروقات الفكرية والخصوصية الحضارية التي تفرض اختلافات كبيرة في الرؤية والتطبيق .

6- ضرورة تحقيق مبدأ العدالة في منح الزمالات الدراسية والايفادات العلمية ودمج الكوادر النسوية في برامج التدريب والإعداد في شتى المجالات الى جانب تفعيل التشريعات التي تكفل حقوق المرأة في شغل المناصب الإدارية والوزارية ورئاسة اللجان والهيئات في الدولة ,ومن المثير للسخرية في العراق ومعظم الأقطار العربية وجود نصوص تشريعية تكفل حق المرأة في هذا الجانب إلا إنها إما أن تكون معطلة او مطبقة بصورة سطحية ففي الوقت الذي منحت فيه النساء تمثيلا برلمانيا ووزاريا بنسبة 25% وجدنا النساء شغلن وزارات هامشية ونلن عضوية لجان معطلة في البرلمان السابق في حين خلت التشكيلة الوزارية الجديدة بعد انتخابات 2010 من أي تمثيل نسوي هذا في الوقت الذي شغلت فيه المرأة منصب وزير التعليم العالي في حكومة الزعيم عبد الكريم قاسم إبان حكمه للعراق أواخر الخمسينيات من القرن الماضي!!!.وبالنسبة للعراق فان المرأة العراقية واجهت عصورا من الظلم والتهميش مع إنها أثبتت إنها معدن أصيل وطاقة خلاقة للإبداع مع إنها كانت ضحية للتغيرات السياسية الحادة والمفاجأة في بلد اعتاد التغيير السريع والدموي في أنظمة الحكم المتتابعة,وبالنسبة للحريات التي حظيت بها فلازالت حقا اقل ن الطموح لان اغلبها ظل حبيس الدساتير والقوانين المعطلة,وايا كانت الادعاءات حول جدية الحقوق الممنوحة للمرأة فهناك معايير جوهرية لاختبار موقع المرأة في المجتمع وهي:

1- مستوى الحياة الديمقراطية ووجود دستور ديمقراطي فاعل يكفل العدالة الاجتماعية لجميع فئات المجتمع بغض النظر عن فوارق الجنس والعرق والدين والمذهب.

2- مستوى التطور الذي بلغه المجتمع في شتى مجالات العلم والفنون والآداب.

3- دور المرأة ومكانتها إلى جانب الرجل في شتى المجالات الاجتماعية والسياسية وغيرها.**(32)**

ولايمكن ان تكون جميع هذه الأمور بديلا عن الوعي بكافة أشكاله ,ذلك لان البنية الفكرية والثقافية للمجتمع هي السبب المباشر في تحقيق مكاسب للمرأة أو حرمانها منها ,وهذا الوعي يترافق مع النهضة في شتى المجالات بحيث يكون أي منجز ديمقراطي للمرأة سببا مباشرا وطبيعيا من أسبابه.

وإذا القينا نظرة سريعة على تراثنا العربي القديم صعب علينا ان نحصر حقا عدد المبدعات في شتى المجالات فليست الخنساء الشاعرة إلا واحدة من الأسماء التي درجنا على ذكرها أنموذجا للإبداع الشعري متغاضين عن معاجم وكتب كثيرة الفت في طبقات النساء الشاعرات وعلى سبيل المثال لا الحصر كتاب أشعار النساء للمرزباني وكتاب شاعرات العرب لبشير بن يموت الذي أحصى كثر من 300 شاعرة الى جانب ماتزخر به دواوين القبائل والمجاميع الشعرية من أشعار عدد كبير من النساء ويكفي أن ندرك مكانة نازك الملائكة رائدة الشعر الحر والناقدة الأدبية البارزة التي فاقت الرجال الشعراء في إبداعها وصارت مثلا يضرب في الإبداع النسوي الى جانب أسماء النساء المبدعات في ميادين الاجتماع والفكر والتأليف وباقي الميادين.

## الهوامش

---

1- لسان العرب/بدع.
2- الإبداع العام والخاص/17.
3- الحدس والإبداع/36.
4- الإبداع العام والخاص/19.
5- ينظر الحدس والإبداع/35.
6- سيكولوجية الإبداع في الحياة/12.
7- سيكولوجية الإبداع/33.
8- الإبداع في الفن والعلم/102.
9- سيكولوجية الإبداع/8-9.
10- نفسه/29.
11- سيكولوجية الإبداع في الحياة/42.
12- نفسه/61.
13- نفسه/62.
14- مقدمة في الموهبة والإبداع/85,وينظر العبقرية والإبداع والقيادة /88.
15- سيكولوجية القهر والإبداع/50.
16- نفسه/57.
17- الأساطير العربية قبل الإسلام/129.
18- الأسطورة والتراث/10.
19- ديوان أمريء القيس/331.
20- الكتابة ضد الكتابة/27.
21- فصول عن المرأة/42.
22- دوائر الخوف-قراءة في خطاب المرأة/30-31.
23- سيكولوجية القهر والإبداع/81.
24- نفسه/62.
25- هموم المرأة/162.
26- المرأة والصراع النفسي/9.
27- آفاق في الإبداع الفني-رؤية نفسية/225-226.
28- إطلالات على نقد النسوية الأمريكية/1-2.

29- نفسه/4.
30- متاعب المرأة المبدعة/2.
31- جيوب مثقلة بالحجارة/165.
32- نحو تغيير جذري في واقع وحياة المرأة-مقال منشور على موقع الحوار المتمدن.

## المصادر

---

**أولا-الكتب:**


1- آفاق في الإبداع الفني-رؤية نفسية-د.احمد عكاشة-دار الشروق-ط1-القاهرة-2001.
2- الإبداع العام والخاص-ألكسندر روشكا-ترجمة:د.غسان عبد الحي ابو فخر-سلسلة عالم المعرفة رقم144-المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب-الكويت-1989.
3- الإبداع في الفن والعلم-د.حسن احمد عيسى-سلسلة عالم المعرفة رقم24 –المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب-الكويت-79.
4- الأساطير العربية قبل الإسلام-د.محمد عبد المعين خان-مطبعة لجنة التأليف والنشر-القاهرة-1937.
5- الأسطورة والتراث-سيد القمني- المركز المصري لبحوث الحضارة-ط3-القاهرة-1999.
6- جيوب مثقلة بالحجارة ورواية لم تكتب بعد-فرجينيا وولف-ترجمة فاطمة ناعوت-المجلس الأعلى للثقافة-ط1-مصر-2004.
7- الحدس والإبداع-د.عبد اللطيف محمد خليفة-دار غريب-القاهرة-2000.
8- دوائر الخوف-قراءة في خطاب المرأة-نصر حامد أبو زيد-المركز الثقافي العربي-ط3-الدار البيضاء-2004.
9- ديوان أمريء القيس-تحقيق :محمد أبو الفضل إبراهيم-دار المعارف-ط4.
10- سيكولوجية الإبداع-د.نادية عواض أبو دنيا-كلية التربية-جامعة حلوان-2003.
11- سيكولوجية الإبداع في الحياة-د.عبد العلي الجسماني-الدار العربية للعلوم-ط1-بيروت-1995.
12- سيكولوجية القهر والإبداع-د.ماجد موريس إبراهيم-دار الفارابي-ط1-بيروت-1999.
13- العبقرية والإبداع والقيادة- دين كيث سايمنتن-ترجمة:د.شاكر عبد الحميد-سلسلة عالم المعرفة رقم176-المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب –الكويت-1993.
14- فصول عن المرأة-هادي العلوي-دار الكنوز الأدبية-ط1-بيروت-1996.
15- الكتابة ضد الكتابة-د.عبد الله محمد الغذامي-دار الآداب-ط1-بيروت-1991.
16- لسان العرب-ابن منظور-دار صادر-بيروت.
17- مقدمة في الموهبة والإبداع-د.يوسف قطامي-دار الفارس للنشر-ط1-عمان-1992.
18- المرأة والصراع النفسي-د.نوال السعداوي-دار المستقبل-ط3-القاهرة-1993.
19- هموم المرأة-تحليل شامل لمشاكل المرأة النفسية-د.مرفت عبد الناصر-مطابع ستار برس-مصر.


**ثانيا-المقالات**


1- إطلالات على شعر ونقد النسوية الأمريكية-جريدة الأسبوع الأدبي-العدد981-2005.
2- نحو تغيير جذري في واقع وحياة المرأة العراقية-كاظم حبيب-مقال منشور على موقع الحوار المتمدن-العدد 939-2004.